ملخص كلمة
الأب فيتوريو يناري(*)
إنَّ مؤتمرَ الأزهرِ حولَ «الحُرِّيَّةِ والمواطنةِ والتَّعدُّديَّةِ والتكاملِ» لهوَ مؤتمرٌ مُعبِّرٌ للغايةِ عن السياقِ الدوليِّ الذي نعيشُ فيهِ، فإنَّه يُوكِلُ إلينا مهمَّةً حاسمةً: ألا وهي أنْ ننهضَ بالإنسانيَّةِ على أساسِ الإيمانِ. ملخص كلمة الأب فيتوريو يناري
إنَّه لمن الضروريِّ إذًا، بناءُ إنسانيَّةٍ جديدةٍ؛ من أجلِ التَّصدِّي للتحدياتِ الَّتي نُواجهُها. وعلى وجهِ الخصوصِ، فإنَّ المحاورَ الأربعَ الَّتي ركَّزَ عليها المؤتمرُ، وهي «الحُرِّيَّةُ والمواطنةُ والتَّعدُّديَّةُ والتكاملُ» تطرحُ علينا نحنُ المؤمنينَ، وعلى الإنسانيَّةِ جمعاءَ، بعضَ التساؤلاتِ الهامَّةِ.
أعتقدُ أنَّه لمن الضروريِّ أنْ نطرحَ هذه التساؤلاتِ وأنْ نُجيبَ على تلكَ التحدياتِ، مستخدمينَ «أعينَ» الإيمانِ لا «أعينَ» السياسةِ، والاقتصادِ، وعلمِ الاجتماعِ.
نلحظُ أمامنا في الأفقِ تحدياتٍ كبيرةً على المستوى العالميِّ وعلى صعيدِ المستجدّاتِ العصريَّةِ. وإذا وضَعْنا أنفسَنا أمامَ تلكَ التحدياتِ بسلوكِ المؤمنِ، فلن يكونَ أمامنا سوى أن نلمَحَ في كلِّ ذلكَ رسالةً إلهيَّةً.
الرِّسالةُ هي: أن نعيشَ في زمنِ التغييرِ والتجديدِ، كما هو حالُنا، هو في حدِّ ذاتِه حالةٌ، ولكنَّها مع ذلكَ تمثِّلُ أيضًا دعوةً وحافزًا أن نتأمَّلَ بتعمُّقٍ الحقائقَ الَّتي يَستدعي كلُّ دينٍ أن يحميَها.
هذه النَّظرةُ الأكثرُ تعمُّقًا، تقولُ لكلِّ مؤمنٍ: إنَّ الحقيقةَ الَّتي قد تلقَّوها، تصيرُ -بما لا يدعُ مجالًا للشكِّ- ردًّا قويًّا على تحدياتِ زمنِنا المعاصرِ.
مثلُ هذه الحقيقةِ يمكنُها أن تكونَ ردًّا، عندما لا يسعدُ الإنسانُ بامتلاكِها ويُقرُّ قائلًا: «نحنُ نمتلكُ الحقيقةَ»، فهي تمثِّلُ ردًّا، عندما يعيشُ الإنسانُ وَفقًا لهذه الحقيقةِ ويضَعُها موضعَ التنفيذِ ويطبِّقُها عمليًّا. تحثُّنا الدعوةُ الَّتي تنبثقُ من أيامِ النقاشِ هذه، ليسَ فقط لحمايةِ الحقيقةِ؛ لأنَّ ما يهمُّ أكثرَ هو أن نحياها.
يبدأُ اليومَ الصومُ الكبيرُ للمسيحيِّينَ من كلِّ المذاهبِ، يحتفلُ الكاثوليكُ اللاتين اليومَ بأربعاءِ الرَّمادِ، ويمثِّلُ هذا الوقتُ في الكنيسةِ لحظةً يجبُ فيها أن نتساءلَ: هل نكافحُ من أجلِ أن نعيشَ الحقيقةَ الَّتي نحميها؟ أو أنَّنا نسعدُ بقولِ «أنا» نحن نعرفُها (أي: الحقيقةَ).
الأصدقاءُ الأعزَّاءُ، فقط إذا كنا نعيشُ الحقيقةَ الَّتي هي قاعدةُ إيمانِنا، سوفَ نكونُ على مستوى تحدياتِ زمنِنا المعاصرِ، وسوف تكونُ كلمتُنا مسموعةً؛ لأنَّها سوف تكونُ كلمةً معيشةً.
فكِّروا في هذا الشأنِ: أينَ تقييمُ الفتنةِ الشيطانيَّةِ للدعوةِ المتطرِّفةِ؟ التطرُّفُ يعيشُ ككلمةٍ، ولكنَّها كلمةُ افتراءٍ وليست كلمةَ حقٍّ. كيف يمكنُنا فهمُ ذلكَ؟ يمكنُنا فهمُ ذلك، بأنْ نعيشَ الثِّمارَ؛ ثمارَ الافتراءِ الَّتي ليستْ بثمارِ الحقيقةِ.
لا نرى حرِّيَّةً، بل اضطهادًا.
لا نرى مواطنةً، بل عبوديَّةً.
لا نرى تعدُّديةً، بل مطابقةً.
لا نرى تكاملًا، بل إقصاءً.

إنَّ انتقادَ التطرُّفِ لهو أمرٌ واجبٌ، لكنَّه مع ذلكَ لا يكفي، يقدِّمُ لنا هذا المؤتمرُ الهامُّ رسالةً:
العالَمُ بحاجةٍ إلى رجالٍ ونساءٍ ذوي إيمانٍ -مؤمنينَ- يعيشونَ بحقٍّ الحقيقةَ الَّتي تحميها أديانُهم.
ومن ثمَّ، سوف نقدِّمُ للعالَمِ ردًّا، ليسَ عبارةً عن كلماتٍ، وإنَّما الحياةُ الحقَّةُ، سوف نُقدِّمُ بديلًا ملائمًا للخطاباتِ المتطرِّفةِ، ولن تكونَ مجرَّدَ نظرياتٍ.
نحن أمامَ تحدياتٍ كبيرةٍ، وهي دعوةٌ أن نعيشَ وأن نطبِّقَ الحقيقةَ.
سوف يمدَحُنا العالَمُ، وبالأخصِّ الفقراءُ والمُعوِزونَ، ومن خلالِ أنفسِنا الفقيرةِ نحمدُ اللَّهَ، ربَّ العالَمِ والتاريخِ.